

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شَّمْسُ

لا يغييها السحاب

لا تغييها السحاب



الإمامة العامة للعقيدة الكاظمية المقدسية
الشؤون الفكرية والنشرية



شمس لا يغيبها السحاب



شمس لا يغيبها السحاب



الامانة العامة للعبادة الكاظمية المقدسة
الشؤون الفكرية والثقافية
١٤٣٢ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بَقِيَّةَ اللَّهِ
خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ

هود: ٨٦

الحمد لله المَنَّان على الدوام والمتفضل بالرحمة على الأنام والموصِل أرزاقه لمن دعاه ومن عصاه، حمداً لا انقطاع لعدده ولا نفاذ لأمدِه وكما هو أهله، والصلاة والسلام على أفضل الخلق مقاماً، وأكثرهم لعبادة الله قياماً، وأطوعهم لأمر ربه انقياداً، وعلى آله الأنوار والهداة الأطهار والسادة الإبرار.

إن من أهم مشاكل هذا العصر والتي يواجهها أغلب الناس هي مسألة البحث عن السعادة والراحة والعدل ولعل هذا الأخير (أي العدل) يكون هو مطلب كل فرد من أفراد هذا المجتمع وقد يقع دائماً الخلط والاشتباه في تطبيق المصداق الصحيح على مفهوم العدل والعدالة، ولعل البعض أيضاً يسلك السلوك المنحرف ولكنه متستر بغطاء اسمه العدل والمساواة والسعادة، وهذا نجده واضحاً في كل دعوى تطلق من فكر أو حزب أو حركة أو دين مبتدع جديد لم ينزل الله به من سلطان، فكان من الواجب علينا في هذه المحنة العصبية التي يواجهها أكثر سكان هذه البسيطة من إيضاح معنى الحق والعدالة ومصداقها الصحيح وما هو الواجب على كل فرد تجاه هذه الأطروحة الإلهية، وهذا الواجب وهذه المسؤولية ملقاة على عاتق كل من له صوت أو قلم أو كلمة مسموعة لدى الآخرين وأقلها قد تقع هذه المسؤولية على الأب في بيته أو الأخ مع أخيه الأصغر أو المعلم مع طلابه وهكذا.

ولأجل هذه الغاية العظيمة عقد بركة المولى عز وجل هذا البحث المتواضع عن قضية العدالة الإلهية المتمثلة في شخص الإمام الثاني عشر الموعود لتنبه كل من له ريبة أو شك في وجوده أو غيبته.

شمس لا يغيبها السحاب

وقد استلهمنا هذا البحث من خلال محاضرات عقائدية ألقىت من قبل سماحة العلامة المحقق آية الله السيد كمال الحيدري دامت تأييداته وإفاضاته القيمة، فنرجو لهذه الأسطر القليلة أن تعطي ثمارها في قضية الإمام المهدي أرواحنا لتراب مقدمه الفداء ومن الله العون والساداد.

تمهيد في العدل الإلهي:

يعد العدل الإلهي وهو الأصل الثاني من أصول الدين وثاني أهم الأصول، وذلك من خلال أن باقي الأصول مبنية عليه فالنبوة والإمامة والمعاد لا نستطيع إثباتها إثباتاً صحيحاً إلا إذا أثبت أصل العدالة الإلهية وهي كون الباري عزوجل عادلاً لا يظلم أبداً ولا يفعل القبيح أبداً، وإن أوضح معاني العدالة هي جعل الشيء في موضعه الصحيح، هذا من حيث التعريف اللغوي أما في الاصطلاح العقائدي فهو يعني أن الله لا يفعل القبيح وفعله منزّه عن القبح والفساد بل أن أفعاله عزوجل تكون دائماً فيها مصلحة وغاية وهذه المصلحة والغاية عائدة على الإنسان لا على الله.

والكلام هنا في كون أن الله أفعاله منزّهة عن القبائح، ففاعل القبيح لا يفعله إلا إذا كان محتاجاً لفعله أو مضطراً له أو جاهلاً به وبقبحه، فيفعله أو يكون لاهياً عابثاً في فعل القبيح لا غير، فهذه أربعة أقسام لفعل القبيح والله تعالى لا يفعلها لكونه أولاً عالماً لا جهل في ساحته، وقادراً لا يضطره أحد، وغني لا يحتاج لأحد، وحكيماً لا يعبث أو يلهو،

ثم أن من أهم مصاديق العدل الإلهي وما يترتب في كونه عزوجل عادلاً هو إرسال الأئمة والخلفاء والهداة إلى الناس بعد الأنبياء وذلك لوجود عدة مصالح متوقفة على هؤلاء الأئمة أو الخلفاء للنبوة، منها:

١. إن الإمام يكون محافظاً على شريعة الله من الانحرافات والدسائس التي تحاك ضد الدين عن طريق التحريف.

٢. الإمام مرجع الأمة بعد رسول الله ﷺ في كافة أمور الشريعة

شمس لا يغيبها السحاب

- والأخلاق والسياسة وإقامة حدود الله التي نسيها العباد.
٣. توضيح الأحكام التي لم يسأل النبي في حياته عنها ولكنه وضحا لخليفته من بعده وهو الإمام.
٤. ضمان بقاء الدين واستمراره، وكسب الناس ودخولهم إلى الدين والتبليغ والتبشير به وعدم التوقف كما حصل في الأديان السابقة.
٥. الفائدة المعنوية في وجود الإمام إذ يمثل رأس الهرم في العبودية المطلقة لله تعالى بل ربما هو الشخص الوحيد الذي تكون عبادته وعبوديته لله عز وجل خالصة من دون شرك أو هوى فيكون السبب في بقاء هذا العالم وهذا الوجود.
- وربما تعد الفائدة الخامسة من أهم الفوائد وقد يقحم بعض الناس ممن لم تسطع على قلبه أنوار الحقيقة في أن هذا الكلام يعد من الغلو في أئمة أهل البيت (سلام الله عليهم أجمعين).
- والجواب بسيط لهذا السائل وهو كون أن هذا العالم وهذا الوجود لم يخلق إلا لأجل العبادة قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)^(١). فالإمام أحد أفراد الأنس وهو عابد لله حاله كحال باقي الناس إلا أن هناك فرق كبير في مدى مقبولية تلك العبادة بين الإمام وباقي الناس، والعبادة الصادرة من الإمام هي عبادة خالصة لله لكونه معصوماً لا يشوبها شرك أو سمعة أو رياء أو غصب حقوق الآخرين، وبالنتيجة ستكون عبادته عبادة مقبولة على أتم وجه وكامل الثواب والأجر، بينما نجد من باقي الناس أن عبادتهم إما مخلوطة بشرك خفي كحب الأنا والذات أو رياء أو عجب أو كبر وغيرها، بل إن العبد

(١) الذاريات - الآية - ٥٦.

شمس لا يغيبها السحاب

لو استطاع التغلب على نفسه وجاهد أشد الجهاد فإنه لا يضمن أن تكون صلاته قد توجه بها لله عز وجل توجهاً كاملاً وأنه أقبل على الله بكل صلاته ولعل هذه الرواية التي صدرت عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام خير دليل على هذا الكلام في مدى مقبولية العمل حيث قال: أنه ليأتي على الرجل خمسون سنة وما قبل الله منه صلاة واحدة فأشدها من هذا والله إنكم لتعرفون من جيرانكم وأصحابكم من لو كان يصلي لبعضكم ما قبلها منه لاستخفافه بها إن الله عز وجل لا يقبل إلا الحسن فكيف يقبل ما يستخف به^(١).

ففي هذه الرواية نجد أن مقبولية الصلاة والإقبال فيها من أهم شرائط القبول عند الله والسؤال هنا يأتي وهو كم صلاة من الصلوات التي يصليها البشر هم مقبلون فيها على ربهم وإنما قد قبلت كلها بينما نجد أن صلاة الإمام المعصوم هي معراج حقيقي واقعي إلى الله وإنما بحق وفادة على الله، ولعل هذه هي إحدى الأسباب التي أدت إلى صدور هذه الكلمات في زيارة آل ياسين (السلام عليكم حين تصلي وتقنت السلام عليك حين تركع وتسجد) إلى آخر الزيارة المعروفة فيكون السلام على سجوده وركوعه ودعائه وصلاته لأنها تمام السجود والركوع والقيام والدعاء وللسلام تمة في وقت آخر وبحق لاحق إن شاء الله خوفاً من الخروج عن صلب الموضوع.

فبعد هذا الاستعراض السريع لأصل العدالة وما يتعلق بها من تنصيب الإمامة ندخل الآن إلى محور بحثنا والذي عقد لأجله وهو الإمام الثاني عشر المنتظر المهدي عليه السلام.

(١) الكافي/ ج ٣ باب من حافظ على صلاته أو ضيعها الحديث - ٩.

شمس لا يغيبها السحاب

الإمام المهدي عليه السلام والعدل الإلهي:

لقد شاء الله سبحانه وتعالى أن يكون لهذا الوجود وهذا العالم قانوناً يسير عليه، وهو الدعوة إلى إقامة العدل الإلهي على وجه هذه البسيطة بين الناس على مختلف أشكالهم وأنواعهم ومعتقداتهم، ولم تترك هذه الدعوة الإلهية في إقامة العدل الإلهي من دون إرسال هداية يهدون إلى الحق وإقامة العدل بين الناس قال تعالى: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ)^(١).

فإن إقامة العدل الإلهي بين الناس وإقامة القسط بينهم لا يكون من دون وجود دعاة وهداة يدعون إلى إقامة شريعة وأحكام وقوانين بين الناس، وهؤلاء الهداة يكونوا أنبياءً أو رسلاً أو أوصياءً، فيكونوا مجموعين تحت عنوان الخليفة أو خليفة الله في الأرض وحقته على عباده وهؤلاء مزودون بوسائل تحفظ لهم السير على المنهج الصحيح وأولى تلك الوسائل هي العصمة وعدم الانحراف، لأن الإمام المفترض الطاعة للناس إذا كان غير معصوم، فسيكون هناك اتجاهين: أما يتبعه الناس حتى في خطئه، أو عدم أتباعهم إياه، فإن أطاعوه فإنهم سوف ينحرفون عما أَرَادَهُ اللهُ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَيُحْمَدُوا لَهُ مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَطِيعُوا أَوْلِيَّ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ

(١) الحديد - الآية - ٢٥.

شمس لا يغيبها السحاب

تَأْوِيلًا^(١) إذا فلا بد من أن يكون ذلك الإمام معصوماً عصمة كاملة حتى لا يبقى أي احتمال في مخالفته للشريعة ولو عن طريق السهو والنسيان.

ثم أن البشر على اختلاف عقولهم وميولهم فإنهم يتفقون في ضرورة وجود العدل والقسط بينهم وهذه الضرورة الموجودة عند الناس إنما منشؤها الفطرة الإنسانية التي أودعها الله لدى البشر قال تعالى: (فَطَرَهُ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)^(٢).

فالميل نحو تحقيق العدالة والقسط بين الناس هو ميل فطري نحو تحقيقه لذلك نجد أن القرآن الكريم قد أكد على هذه الحقيقة إقامة العدل والقسط في غير موضع وهذا العدل يتحقق على أيدي أئمة هداة يهدون بأمر الله عز وجل ويجعل هذا العدل وإقامة القسط على أيديهم قال تعالى: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)^(٣).

فمن خلال هذه الآية الشريفة نفهم عدة أمور منها أن هناك وعد الهي في إقامة العدل الإلهي على وجه الأرض وهذا ما سنأتي إليه لاحقاً.

(١) النساء - الآية - ٥٩.

(٢) الروم - الآية - ٣٠.

(٣) النور الآية - ٢٤.

شمس لا يغيبها السحاب

كما أن الآية دلت على أن الدين والشريعة التي ستقام على أيديهم هو دين مرضي عند الله عز وجل وهذا الدين المرضي عنده هو الإسلام لا دين آخر، بل إن هذا الدين الإسلام هو القائم على ولاية أهل البيت (سلام الله عليهم) بعد الرسول الأكرم ﷺ لا كما تقول باقي المذاهب الإسلامية وذلك لأننا نعتقد أن الدين الإسلامي يتكون من أركان، وأهم أركانه الولاية لأهل البيت أو الإمامة، والدليل على هذا الكلام هو أنه بعد يوم الغدير وتنصيب أمير المؤمنين (عليه السلام) إماماً للناس نزلت هذه الآية الشريفة: (الْيَوْمَ يَأْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)^(١).

حيث تدل هذه الآية على أن الدين قد كُمل بالإمامة وهو المرضي عند الله ورسوله والمؤمنين وكذلك سيكون هذا الدين هو نفسه الذي سيقام بكامل أركانه على يد الإمام الثاني عشر في آخر الزمان ﷺ وكذلك نجد أن الآية الخامسة من سورة القصص تحمل نفس السمات التي تحدثنا عنها آنفاً حين قال عز من قائل: (وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ)^(٢).

وكذلك يؤيد هذا الكلام ما ورد في سورة الأنبياء حين قال سبحانه وتعالى: (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ)^(٣).

فعلى هذا الأساس نجد أن القرآن الكريم يؤكد على حقيقتين هما:

(١) المائدة - الآية - ٣.

(٢) القصص - الآية - ٥.

(٣) الأنبياء - الآية - ١٠٥.

شمس لا يغيبها السحاب

الحقيقة الأولى: ما بُعثَ الأنبياء والكتب السماوية إلا لأجل إقامة العدل والقسط بين الناس.

الحقيقة الثانية: إن هذا العدل وهذا القسط فيه وعد إلهي في إقامته على وجه الأرض وإن طال الزمن، فالوعد الإلهي لا بد أن يقع، قال تعالى: (وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارَعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ)^(١) وقال تعالى: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)^(٢).

شرائط إقامة العدل الإلهي

بعد أن توصلنا في بحثنا إلى نتيجة مهمة وهي أن إقامة العدل الإلهي على وجه الأرض تقع ضمن الوعد الإلهي لعباده، ننتقل الآن إلى شرائط إقامة العدل الإلهي على وجه الأرض، وهي ثلاثة شروط:

الشرط الأول (الدين والشريعة الكاملة)

من الضروري في إقامة أطروحة من الأطروحات بين الناس أن تكون هناك قاعدة تشريعية شاملة للقوانين والأحكام، وهذه التشريعات والقوانين إذا كانت مكتوبة من قبل الإنسان، فإن فكر الإنسان وعقله محدود بالزمان والمكان، فيكون القانون والتشريع محددًا بذلك الزمان والمكان وكلما مرّ عليه زمان أطول وتغير المكان ربما أثبتت فشلها وعدم انسجامها مع الوقت اللاحق، هذا بالنسبة للإنسان

(١) الرعد - الآية - ٣١.

(٢) الصف - الآية - ٩.

شمس لا يغيبها السحاب

أما إذا كان التشريع والقانون منزل من لدن خبير عليم حكيم فإن استمرارية هذه التشريعات والقوانين سوف تبقى إلى آخر الزمن ولا نضاد لها ولا يعترئها البطلان أو الشك في مدى فاعليتها وصحتها وذلك لكون الله عز وجل عالماً بالمصالح والمفاسد في كل زمان ومكان، فيكون القانون أو التشريع الصادر منه عز وجل مراعيًا لهذه المسألة أي تشمل كل العصور وليس محدوداً كما في تفكير البشر بظروف ذلك الزمان أو المكان.

إذن الشرط الأول في إقامة العدل الإلهي هو وجود الشريعة الكاملة وهذه الشريعة تكون منزلة من الله عز وجل لا غير، قال تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) (١). هذا الدين الذي يلبي جميع احتياجات البشرية من عقيدة وفقه وأخلاق وحدود وتعازير وأحكام، لهذا نجد أن الله عز وجل يعبر عن هذا الدين بالدين الكامل وأنه لا يقبل من الفرد إلا هذا الدين قال تعالى: (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (٢).

الشرط الثاني (القائد أو الإمام)

لا بد من وجود شخص يتولى إقامة هذا العدل والقسط بين الناس وتطبيق الدين والشريعة بين العباد إذ من غير المعقول أن يكون هناك تشريع ودين ولا يوجد له قائد وإمام يتولى مسؤولية إقامته وتشبيده

(١) سورة المائدة: الآية ٣.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٨٥.

شمس لا يغيبها السحاب

أركانها، هذا القائد والإمام لا بد أن تكون له مؤهلات تجعله على قدر المسؤولية الملقاة على عاتقه، وهي مسؤولية عظيمة ولا تخلو من صعوبات وأهوال لأنها تهدف إلى إقامة العدل على وجه الأرض كاملاً وليس في منطقة دون أخرى أو بقعة معينة من بقاع الأرض، فكما إن المسؤولية عظيمة لهذه الدرجة فلا بد أن يكون الإمام القائد لهذه الأطروحة الإلهية أن يكون عظيماً أيضاً في مؤهلاته وملكاته الشخصية وعلى هذا نستنتج مما تقدم أن الإمام القائد لهذه الحركة - أي حركة العدالة الإلهية في الأرض - لا بد أن يكون معصوماً فالعصمة هي أولى مقومات هذه الشخصية القيادية التي ستقود العالم بأسره، والقيادة إذا لم تكن مزودة بالعصمة الإلهية ستقع هناك الأخطاء والمظلوميات والتي ستسبب في انتفاء الغاية التي بعث من أجلها وهي إقامة العدل والقسط بين الناس ونفي الظلم والفساد من على وجه الأرض، ولذلك نجد أن نبي الله إبراهيم عليه السلام حين نال مقام الإمامة طلبها لذريته أيضاً وأن تكون سارية عليهم فأجابه الله من أن هذه الإمامة هي في ذريتك ولكن من غير الظالمين أي أن الإمامة منصب لا يجعله الله للظالمين من ذريتك، قال تعالى: (وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)^(١).

الشرط الثالث (القاعدة الشعبية)

إن تنفيذ هذه الأطروحة الإلهية المتعلقة إقامة العدل والقسط على وجه الأرض لا بد له من أنصار ومؤيدين إذ من غير المعقول

(١) سورة البقرة: الآية ١٢٤.

شمس لا يغيبها السحاب

أنها تقوم على يد واحد فقط وهو الإمام والقائد فلا بد من وجود الأعوان وهؤلاء يجب أن يكونوا من الذين آمنوا بهذه الدولة العادلة وهذا القائد والإمام المعصوم فمن غير الصحيح أن يكون أعوان هذا الإمام المنتظرهم أناس غير مؤمنين به أو بحكمه وعصمته، لذلك نجد أن القرآن الكريم أكد أيضاً على هذه الحقيقة حيث قال: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ)^(١).

النتيجة

من الواضح أن الشرطين الأولين هما متحققان، فالدين الكامل والشريعة موجودة وكذلك القائد والإمام أيضاً موجود ويبقى الكلام في تحقق الشرط الثالث وهم القاعدة المؤيدة لهذا الإمام المنتظر ولعل إليها يعزى سبب تأخر ظهور الإمام لحد الآن.

لذلك نجد أن أئمة أهل البيت عليهم السلام قد أكدوا مراراً على مسألة تهذيب النفس والاستعداد للظهور منها ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: (وإن حبنا رضى الربّ والأخذ بأمرنا وطريقتنا معنا غداً في حضرة القدس والمنتظر لأمرنا كالمتشحط بدمه في سبيل الله ومن سمع واعيتنا فلم ينصرنا أكبه الله على منخريه في النار)^(٢).

بل نجد أن الإمام المهدي عليه السلام نفسه يؤكد على هذه الحقيقة ويؤكد عليها أكثر من مرة فمن ضمن المراسلات التي بعثها إلى بعض العلماء في هذه الرسالة إلى علي بن الحسين بن بابويه القمي حيث

(١) سورة الحديد: الآية ٢٥.

(٢) بحار الأنوار/ ج٦٥/ ص٦١.

شمس لا يغيبها السحاب

جاء فيها: (وعليك بالصبر وانتظار الفرج فإن النبي ﷺ قال: أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج ولا تزال شعبتنا في حزن حتى يظهر ولدي...) (١).

من هو القائد والإمام لهذا العالم

لقد وضحنا في بداية هذا البحث من أن العالم يتفق على مسألة العدل وإقامته بين الناس ولكنهم وقعوا في خلاف شاسع في تطبيق هذا المفهوم على مصداقه الصحيح وبعبارة أخرى من هو الإمام الذي سيقود هذا العالم نحو تحقيق العدل والمساواة وإزاحة الظلم والجور من على وجه الأرض فإن الأديان والمذاهب والتيارات الفكرية كلها تزعم على ضرورة إقامة العدل بين الناس ولكنهم يختلفون في من هو المنقذ لهذه البشرية من دائرة الظلم والجور وإيصالهم إلى ساحل النور والعدالة والمساواة، بل نجد أن الاختلاف وصل إلى نفس الدين الإسلامي في من هو الإمام الذي سيفتح الله على يده مشارق الأرض ومغاربها فذهب بعضهم إلى أنه غير موجود الآن وسيولد في آخر الزمان ومنهم من قال إنه خرافة لا حقيقة له، ومنهم من قال أنه ولد ولا زال يعيش بين الناس وسيظهر في آخر الزمان ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، والذي هو عليه مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) فإنها تعتقد في أن المهدي (عليه السلام) من ولد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) نسباً ومن ذرية الحسين، وأبيه الإمام الحادي عشر الحسن بن علي العسكري (عليه السلام) وأنه حي يعيش بين ظهرائي الناس ولكنهم لا يعرفونه وسيظهر متى شاء الله وتوفرت الشرائط للظهور،

(١) بحار الأنوار/ ج ٥٠ ص ٣١٨.

شمس لا يغيبها السحاب

وحين الرجوع إلى القرآن الكريم نجد أنه مؤيد إلى هذه العقيدة التي يعتقدها أهل البيت وشيعتهم من عدة أوجه، منها:

١. أن الإمامة والخلافة الإلهية لا تنقطع أبداً من على وجه الأرض ما دامت الساعة لم تقم بعد، أي أنها مستمرة لآخر الزمان كقوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)^(١).

فجعل الخلافة أمر إلهي في الأرض وهذه الخلافة ممتدة من آدم إلى قيام الساعة.

٢. أن هذه الآية: (إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)^(٢)، فهي إمامة باقية مستمرة في ذرية إبراهيم في الصالحين فقط دون الظالمين ويؤيد هذا قوله تعالى في محكم كتابه: (وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)^(٣)، ومن الواضح أن هذه الكلمة الباقية في عقب إبراهيم عليه السلام هي إما كلمة التوحيد أو الإمامة على اختلاف آراء المفسرين ولا بأس بالجمع بين هذين المعنيين حيث أن التوحيد لا يقام إذا لم يكن هناك إمامة حافظة للشريعة والدين بعد الرسول، وقيام التوحيد خالصاً لله لا يقوم أساساً إذا لم يكن هناك إمام يبين للناس ما هو التوحيد وما هي أركانه وكيف يكون خالصاً من الشرك والتجسيم، ولعل أكبر شاهد على ما نقول في وقوع

(١) سورة البقرة: الآية ٣٠.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٢٤.

(٣) سورة الزخرف: الآية ٢٨.

شمس لا يغيبها السحاب

الاختراق عقيدة التوحيد وخلوها من الإمامة الإلهية هو ما ذهبت إليه بعض الفرق الإسلامية وخاصة السلفية الحديثة إلى الشرك بالله ووصفه بما يتجلى عنه سبحانه وتجليه كما لجلوس والنزول إلى السماء الرابعة والهرولة وتمثله بصورة الشاب الأرمرد وهم يظنون أنهم يوحدون الله وما هذا إلا نتيجةً لابتعادهم عن أصل الإمامة التي تضع الموازين في توحيد الله عز وجل، قال تعالى: (أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) (١).

هذا من حيث الاستدلال بالآيات القرآنية وهي كثيرة اخترنا منها بما يسمح به المجال.

الإمام المهدي عجل الله فرجه في السنة الدليل الأول:

إن الأحاديث النبوية قد حوت على الكثير من التصريحات بإمامة المهدي المنتظر نكتفي منها بهذه الرواية وهي:

حديث الثقلين: (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا) وورد في حديث آخر (إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض).

فمن حيث السند أي رجال الحديث فقد وصل هذا الحديث حد التواتر أي أنه صدر أكثر من عشرة أسانيد فهذا يسمى حديث

(١) سورة يونس: الآية ٣٥.

شمس لا يغيبها السحاب

متواتر، والتواتر يفيد القطع بصحة الصدور، فكما إن القرآن الكريم هو متواتر عند المسلمين وهذا التواتر يفيد القطع بصحة صدور الكتاب العزيز عن الله جل وعلا فأيضاً هذا الحديث هو من المتواترات التي تفيد صحة سند هذا الحديث صدوراً من رسول الله ﷺ.

يقول السيد محمد تقي الحكيم في كتابه أصول الفقه المقارن ما هذا نصه: (وهذه الصحاح الحاكمة بوجوب التمسك بالثقلين متواترة تنتهي أسانيدُها إلى بضع وعشرين صحابياً وقد صدع بها رسول الله ﷺ في مواقف شتى تارة في يوم غدِير خُم وأخرى على منبره في المدينة إلى غير ذلك)^(١).

وقال ابن حجر في كتابه الصواعق المحرقة ما نصه:

(ثم اعلم أن لحديث التمسك بهما طرقاً كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابياً ومُدَّ له طرق مبسوطة في حادي عشر الشُّبه وفي بعض تلك الطرق أنه قال ذلك بحجة الوداع بعرفة وأخرى أنه قال بالمدينة في مرضه وقد امتلأت الحجرة بأصحابه وأخرى أنه قال ذلك بغدير خُم وفي أخرى أنه قال لما قام خطيباً بعد انصرافه من الطائف كما مر، ولا تناه في إذ لا مانع من أنه كرر عليهم ذلك في تلك المواطن وغيرها اهتماماً بشأن الكتاب العزيز والعترة الطاهرة وفي رواية عند الطبراني عن ابن عمر: آخر ما تكلم النبي ﷺ: اخلفوني في أهل بيتي)^(٢).

وقد ذكر السيد محمد تقي الحكيم في كتابه الآنف الذكر (أصول الفقه المقارن) ٣٩ طريقاً لهذا الحديث من طرق أهل السنة و٨٢

(١) أصول الفقه المقارن / محمد تقي الحكيم: ص ٢٨.

(٢) الصواعق المحرقة: ص ١٥٠.

شمس لا يغيبها السحاب

طريقاً من طرق الشيعة الإمامية فمن أحب الزيادة في هذا الموضوع فليرجع إلى أصل الكتاب.

أما من حيث دلالة الحديث (المتن) فإن في الرواية الشريفة اقتران بين الكتاب والعترة وإن القرآن لا يفارق العترة، والعترة لا تفارق الكتاب هذا أولاً وثانياً إن هذا القرآن العزيز موجود منذ أن بعث الرسول وحتى نهاية هذا العالم وكذلك هو باق لا يبطل ولا ينسخ ولا يبلى، قال تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)^(١)، وقال تعالى: (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)^(٢).

إن تطبيق هذه الخصائص الموجودة في القرآن من البقاء والحفاظية من الله وعدم البطلان، فإنها أيضاً تنطبق على العترة الطاهرة في أنها باقية وأنها محفوظة ولا تبطل أبداً ما دام القرآن موجوداً، وإلا لوقع الافتراق بينهما، والحديث يقول أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ومن المعلوم أن كلمة (يردا عليّ الحوض) تعني الدار الآخرة.

يقول السيد محمد تقي الحكيم: (بقاء العترة إلى جانب الكتاب إلى يوم القيامة أي لا يخلو منهما زمان من الأزمنة ما دامتا لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض وهي كناية عن بقائهما إلى يوم القيامة، يقول ابن حجر: وفي أحاديث الحث على التمسك بأهل البيت إشارة على عدم انقطاع متأهل (أي يتصدى للإمامة) منهم للتمسك به إلى يوم القيامة كما إن الكتاب العزيز كذلك، ولهذا كانوا أماناً لأهل الأرض)^(٣).

(١) سورة الحجر: الآية ٩.

(٢) سورة فصلت: الآية ٤٢.

(٣) السنة في الشريعة الإسلامية / محمد تقي الحكيم: ص ٥٤.

شمس لا يغيبها السحاب

الدليل الثاني:

يتضمن إحصاءات لما ورد في شأن الإمام المهدي وهي:

١. الروايات الدالة على أنه من صلب الإمام الحسن العسكري وابنه الوحيد ١٤٦ رواية.
٢. الروايات التي تبين آباء الإمام الحسن العسكري ١٤٧ رواية.
٣. الروايات التي تبين أنه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ١٣٢ رواية.
٤. الروايات الدالة على غيبته الشريفة ٩١ رواية.
٥. الروايات التي تتحدث عن عمره ﷺ ١١٨ رواية.
٦. الروايات التي تتحدث عن أن الإسلام سيعم كل العالم ١٣٦ رواية.
٧. الروايات التي تتحدث حول ولادته ٢١٤ رواية.

والسبب في الوقوف على هذه الإحصاءات الروائية عن الإمام المهدي ﷺ يعطينا صورة واضحة في مسألة التأكيد من أهل البيت عليهم السلام ابتداءً من رسول الله صلى الله عليه وآله وانتهاءً إلى الإمام الحسن العسكري وليست هذه الإحصاءات هي من مصادر الشيعة فقط وإنما تدخل فيها الكثير من مصادر الحديث السننية أيضاً وهذه الوفرة والكثرة في هذا العدد الهائل من الروايات تعطي صورة واضحة عن الإمام الثاني عشر ﷺ وتزيل الشك والريب من كل من توهم أو شك في وجوده.

شمس لا يغيبها السحاب

الدليل الثالث:

ورد في صحيح البخاري رواية هذا نصها: (حدثني محمد بن المثنى حدثنا غندر حدثنا شعبة عن عبد الملك سمعت جابر بن سمرة قال سمعت النبي ﷺ يقول يكون اثني عشر أميراً، فقال كلمة لم أسمعها فقال أبي أنه قال: كلهم من قريش)^(١).

ورواية ثانية وردت في مسند أحمد بن حنبل هذا نصها: (حدثنا عبد الله حدثنا أبي حدثنا حسن بن موسى حدثنا حماد بن زيد عن المجالد عن الشعبي عن مسروق قال: كنا جلوساً عند عبد الله بن مسعود وهو يقرؤنا القرآن فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن هل سألتم رسول الله ﷺ كم تملك هذه الأمة من خليفة؟ فقال عبد الله بن مسعود: ما سألتني عنها أحد منذ قدمت العراق قبلك، ثم قال: نعم ولقد سألتنا رسول الله ﷺ فقال اثني عشر، كعدة نقباء بني إسرائيل)^(٢).

من خلال هاتين الروايتين وبا لجمع بينهما نفهم عدة أمور تفيدها في الاستدلال على قضية الإمام المهدي المنتظر ﷺ وهي:
إن الخلفاء بعد رسول الله ﷺ اثنا عشر خليفة ما دام الإسلام قائماً لا يزدادوا واحداً ولا ينقصوا واحداً.

إنه عبر عنهم رسول الله ﷺ بالخلفاء مرة والنقباء أخرى وهذه إشارة إلى أمرين مهمين أولهما أنه وصفهم بالخلفاء مع أن هذا النص لم يكن معروفاً عند العرب ولكن المعروف عندهم الملك والأمير وشيخ القبيلة وكبيرهم، فالظاهر أن رسول الله ﷺ حاول الإشارة إلى

(١) صحيح البخاري: ج ٨ / ص ١٢٧.

(٢) مسند أحمد: ج ١ / ص ٣٩٨.

شمس لا يغيبها السحاب

أنهم يمثلون الخلافة الإلهية التي عناها الله في قوله تعالى: (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) (١).

والثاني أنه وصفهم بالنقباء كنقباء بني إسرائيل، فلورجعنا إلى الآية التي تتحدث عن نقباء بني إسرائيل وهي: (وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ) (٢).

نجد أن هؤلاء النقباء أيضاً كان عددهم اثنا عشر نقيباً وأن أمر تنصيبهم كان من الله وليس تعيين بالشورى بين الناس لدلالة قوله تعالى: (بَعَثْنَا مِنْهُمُ) أي أن الباري نسب مسألة البعث لذاته المقدسة لا إلى جهة أخرى.

إن الروايات اختلفت في التعبير عنهم، فمرة سمتهم بالأئمة ومرة بالخلفاء ومرة بالنقباء وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على تعدد جهات الكمال لهؤلاء الأئمة صلوات الله عليهم ولم يحصل شخص آخر على هذه السمات والصفات التي تدل على درجات الكمال الإنساني.

إنهم مستمررون مع القرآن والإسلام ما دام القرآن والإسلام موجوداً ولو انتفى وجودهم لبقى هذا الدين من دون إمام ولا تنتفت الغاية الأولى من إنزاله على الناس وهي هدايتهم إلى صراطٍ مستقيم قال

(١) سورة البقرة: الآية ٣٠.

(٢) سورة المائدة: الآية ١٢.

شمس لا يغيبها السحاب

تعالى (ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ)^(١)، ويضاف إليه أيضاً أن مهمة الرسول كانت هي توضيح الكتاب وتعليم الناس الحكمة والموعظة قال تعالى: (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)^(٢)، فهذه الآية تبين أن بعثة الرسول كانت للمؤمنين، ومهمته أن يتلو عليهم كتاب الله موضحاً لهم أحكامه وقواعده ويطهرهم من الشرك وملقناً لهم الحكمة الإلهية بعد أن كانوا في ضلال مطبق واضح، فالسؤال هو ما هو ذنب الذين لم يروا أو يشاهدوا رسول الله ويعاصروه وهل يتركهم الباري عز وجل في ضلال وعمى ولا يرسل لهم من ينوب عن رسوله في هذه المهام؟ أيهما أقرب تناسباً مع الرحمة الإلهية واللفظ الإلهي بعباده؟

إن من مقتضيات الرحمة واللفظ والعدل الإلهي أن يكون في كل زمان إماماً أو نقيباً أو خليفة عن رسول الله يتولى مهام الرسالة المحمدية إلا في النبوة أي لا يكون نبياً بعده ولعل قوله ﷺ: (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي)^(٣)، أكبر دليل على ضرورة وجود خليفة وإمام للناس بعد رسول الله ﷺ.

فائدة وجود الإمام في زمن الغيبة

قد يطرح هذا السؤال على السنة الكثيرين من المعاندين في قضية الإمام المهدي ووجوده غائباً في العنوان بين الناس وهو: ما هو نفعه

(١) سورة البقرة: الآية ٢.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٦٤.

(٣) مسند أحمد بن حنبل: ج ١/ص ١٨٤.

شمس لا يغيبها السحاب

إذا كان هادياً للناس ومع ذلك فإن الناس لا يرونه ويسمعون صوته ولا يتلقون أوامره وما هذا إلا نقض لدوره في هذه الحياة وهي الهداية للناس؟

لرد على مثل هكذا أسئلة نقول:

أولاً: أنه لا تلازم أو اشتراط بين الوجود الظاهري العياني بين الناس وبين الهداية لهم، فمن الممكن أن يكون الشخص مخفي العنوان والصورة ولكنه مع ذلك يمارس دوره الأساسي في هداية الناس وحفظ الشريعة والقوانين الإلهية، ولعل أقرب دليل على كلامنا هذا هو ما صرح به القرآن الكريم في قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح (الخضر عليه السلام) قال تعالى: (فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّنْ لَّدُنَّا عِلْمًا قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مَعِيَ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا^(١)).

فمن خلال هذه الآيات الشريفة نفهم عدة أمور منها:

إن العبد الصالح كان يملك علماً لدنياً من الله ثم يكن موسى عليه السلام يملكه.

إن العبد الصالح كان معلماً وهادياً لموسى مع أنه كان من أولي العزم.

أن موسى كان شديد الحب للتعلم من العبد الصالح وألح عليه في تعليمه إياه مع امتناع العبد الصالح في بداية الأمر.

(١) سورة الكهف: الآيات (٦٥-٧٠).

شمس لا يغيبها السحاب

الأمر المهم الذي يخدمنا في هذا البحث هو أن العبد الصالح كان مخفياً في العنوان ولم يعلم به حتى موسى لو لا أن أرشده الله إليه. أن العبد الصالح كان يقضي حاجات البشرية ويسددهم من حيث لا يعلمون وبالرغم من أنه كان مخفي العنوان والصورة.

بقي أن ننقل شيئاً من الروايات الواردة في هذا الموضوع منها هذا الكلام برواية لأمير المؤمنين عليه السلام لكميل بن زياد: (... كذلك يموت العلم بموت حامله، اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم بحجة ظاهر أو خائف مغمور لئلا تبطل حجج الله وبيناته...) (١).

ومنها ما ورد من توقيع (رسالة) الإمام المهدي عليه السلام حينما سئل عن علة الغيبة وفائدتها: (وأما وجه الانتفاع بي في غيبتي فكالانتفاع بالشمس إذا غيبتها عن الأبصار السحاب وإني أمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء) (٢).

مسؤوليات الإمام المهدي عليه السلام

نستطيع أن نقول أن المسؤوليات الملقاة على عاتق الإمام المهدي هي مسؤوليات تتناسب مع عظم شأنه ورفع مقامه الشريف، نحاول أن نوجز أهمها على شكل نقاط:

المسؤولية الأولى (الشهادة على الناس):

قال تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا

(١) الخصال / الشيخ الصدوق: صفحة ١٨٧.

(٢) الصحيفة الهادية والتحفة المهديّة / إبراهيم بن الحسن الفيض الكاشاني: ص ٢٤.

شمس لا يغيبها السحاب

لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ^(١).

إن الآية تدل بشكل واضح على أن لكل أمة شاهداً عليها وعلى أعمالها ثم يؤتى بهذا الشاهد يوم القيامة فيشهد على الأمة التي كان عليها شهيداً من خير أو شر ومن عمل صالح أو طالح ويكون رسول الله شهيداً على هؤلاء الشهداء وقد قال بعض المفسرين بأن هؤلاء الشهداء هم جميع الأمة الإسلامية وهذا الرأي واضح في الضعف والتهافت فإن الإمام الصادق قد رد على هذا الكلام حينما تصدى لتفسير هذه الآية وكأنه علم بل كان عالماً بما سيقوله بعده بعض المفسرين لكتاب الله العزيز: (قال الله وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً، فإن ظننت أن الله عنى بهذه الآية جميع أهل القبلة من الموحدين، أفترى أن من لا يجوز شهادته في الدنيا على صاع من تمر يطلب الله شهادته يوم القيامة ويقبلها منه بحضرة جميع الأمم الماضية؟! كلا، لم يعن الله مثل هذا من خلقه، يعنى الأمة التي وجبت لها دعوة إبراهيم كنتم خير أمة أخرجت للناس وهم الأمة الوسطى وهم خير أمة أخرجت للناس)^(٢).

فإذا بهذا البيان الواضح نجد أن الإمام وضع معنى الشاهد على الأعمال في كل زمانٍ ومن هو وما هي خصائصه.

(١) سورة البقرة: الآية ١٤٣.

(٢) تفسير العياشي: ج ١/ص ٦٣.

شمس لا يغيبها السحاب

المسؤولية الثانية (عرض الأعمال):

قال تعالى: (وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ) (١)، في هذه الآية تصريح بأن الأعمال مشهودة لله ورسوله والمؤمنين، وهؤلاء المؤمنون ليسوا كسائر المؤمنين، بل لهم امتيازات خاصة جعلت لهم هذه المسؤولية، وهي شهادة الأعمال للناس كما وضحناه في المسؤولية الأولى، ولعل سائل يسأل: ما هي فائدة أن الإمام يرى الأعمال وهو شاهد عليها يوم القيامة؟ فهذا نفس الكلام بالنسبة للمسؤولية الأولى وهي شهادة الأعمال يوم القيامة.

والجواب أن الإمام حينما يرى الأعمال التي تصدر من الناس سيكون إما في حالة سرور لأنها أعمال صالحة ويفرح بها ويحمد الله وإما سيكون في حالة حزن لأنها أعمال قبيحة ويغتم لأجلها فيستغفر الله من ذنوب الناس ويستغفر لهم ويدعو لهم بالهداية.

(عن الصادق قال: ما لكم تسوؤون رسول الله ﷺ، فقال رجل: كيف نسوؤه؟ فقال: أما تعلمون أن أعمالكم تعرض عليه فإذا رأى معصية ساءه ذلك، فلا تسوؤوا رسول الله وسروه) (٢).

وفي رواية أخرى عن الإمام الرضا (عليه السلام) حينما طلب منه أحد أصحابه الدعاء له ولأهل بيته، قال الإمام الرضا (عليه السلام): (أولست أفعل؟ والله إن أعمالكم لتعرض عليّ في كل يوم وليلة، قال (السائل): فاستعظمت ذلك، فقال لي: أما تقرأ كتاب الله عز وجل: (وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ) قال: هو والله علي بن أبي طالب (عليه السلام) (٣).

(١) سورة التوبة: الآية ١٠٥.

(٢) الكافي/ الكليني: ج ١/ ص ٢١٩.

(٣) الكافي/ الكليني: ج ١/ ص ٢٢٠.

شمس لا يغيبها السحاب

المسؤولية الثالثة (تنزل الملائكة والروح في ليلة القدر):

قال تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ)

من المجمع عليه بين المسلمين أنّ في ليلة القدر تنزل الملائكة والروح من عالم الأمر الإلهي في أقدار الناس من أقواتهم وأرزاقهم وأجالهم وجميع خصوصياتهم فإن هذه الأمور كلها تقدر وتنزل في تلك الليلة المباركة والسؤال هنا على من تنزل هذه الملائكة في ليلة القدر ولماذا تنزل وما هي شأنية ذلك الشخص الذي تنزل عليه الملائكة والروح؟ ومن المعلوم أن هذا التشريف في تنزل الملائكة عليه لا بد أن يكون أفضل من الملائكة التي تنزل عليه وأعلى مقاماً، وإن الملائكة قد وردت في لفظ الجمع المعرف بـ (آل) التعريف والتي تقيد الشمول والاستغراق فهذا يعني أن من ضمن الملائكة الذين ينزلون في ليلة القدر هو جبرائيل عليه السلام الذي عبرت عنه الآية الشريفة في سورة التكوير (وَأَنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ)^(١).

فقد وصفته الآية بستة أوصاف ومع هذا فإنه ينزل على صاحب الأمر، فأبي مقام لهذا الإنسان الذي تنزل عليه الملائكة والروح.

لا يبقى لمن وجهت له هذه الأسئلة إلا الاعتقاد بوجود إمام عصر حجة الله على عباده تعرض عليه أعمال أهل زمانه.

(١) سورة التكوير: الآيات (١٩-٢١).

شمس لا يغيبها السحاب

ورد في الكافي عن أبي جعفر (الباقر) عليه السلام قال: (يا معشر الشيعة خاصموا بسورة إنا أنزلناه تحلجوا، فوالله إنها لحجة الله تبارك وتعالى على الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وإنها لسيدة دينكم وإنها لغاية علمنا يا معشر الشيعة خاصموا ب (حم والكتاب المبين إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين) فإنها لولاة الأمر خاصة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله)^(١).

وهذا أيضاً يضاف إلى إحدى الأدلة على وجوده سلام الله عليه فما دامت ليلة القدر تقع في كل سنة إلى آخر الزمان فلا بد من وجود إمام في كل زمان تنزل عليه الملائكة والروح وإلا إذا لم يكن موجوداً فعلى من تنزل الملائكة والروح؟

شمس لا يغيبها السحاب

الخاتمة

من خلال هذه العجالة في بحثنا هذا نصل إلى حقيقة مهمة وهي إن معرفة الإمام المهدي صاحب الأمر والزمان عليه السلام مسألة تحتاج إلى تدقيق النظر والرجوع إلى الفكر الصحيح حتى يصل إلى الحقيقة العظمى في وجوده ولعل هذا الأمر هو من أحد الابتلاءات التي ابتليت بها البشرية على العموم والمسلمين على الخصوص، بل هو من الفتنة والابتلاء الشديد وهذا إنما فائدته لتمحيص الناس وخروج المعدن الطيب من المعدن الرديء قال تعالى: (أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ)^(١)، بل إن هذه الفتنة والابتلاء بأمره ووجوده قد تصل إلى شيعته والعياذ بالله.

عن المفضل بن عمر قال سمعت أبا عبد الله (الصادق) عليه السلام يقول: لصاحب هذا الأمر غيبتان إحداهما يرجع منها إلى أهله والأخرى يقال: هلك في أي وادٍ سلك قلت كيف نضع إذا كان كذلك؟ قال: إذا ادعاه مدع فاسألوه عن أشياء يجيب فيها مثله)^(٢).

فمن الواضح من هذه الرواية أن الذين يقولون أنه قد هلك في أي وادٍ سلك هم كانوا يعتقدون أولاً بحياته ثم طرأت عليهم شبهة موته عليه السلام قبل ظهوره، وذلك لأنهم آيسوا من ظهوره ولم تكن لهم القابلية في الاستمرار على عقيدة انتظار الفرج، لذلك يمكن القول أن كل إنسان يعتقد بوجود إمام غائب ولكن أعماله مخالفة لعقيدة الانتظار ويتصرف بسوء ويعمل المنكر وكأنه لا إمام له ويعيش في الأرض فساداً فكأن لسان حاله يقول: (هلك في أي وادٍ سلك).

(١) سورة العنكبوت: الآية ٢.

(٢) الكافي/ الكليني: ج ١/ص ٣٤٠.

شمس لا يغيبها السحاب

اللَّهُمَّ اعصمنا من خطوات الشيطان واجعلنا ممن ينتظرون ظهور
وليك القائم قولا وفعلا، اللَّهُمَّ اجعلنا من أنصاره وأعوانه والدائبين
عنه والمسارعين إليه في قضاء حوائجه والممتثلين لأوامره والمحامين
عنه والسابقين إلى إرادته والمستشهادين بين يديه.

اللَّهُمَّ إِنْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ الْمَوْتُ الَّذِي جَعَلْتَهُ عَلَى عِبَادِكَ حَتْمًا
مَقْضِيًّا فَأَخْرِجْنِي مِنْ قَبْرِي مُؤْتَرًّا كَفَنِي شَاهِرًا سَيْفِي مُجْرَدًا قِنَاتِي
مُلَبِّيًّا دَعْوَةَ الدَّاعِي فِي الْحَاضِرِ وَالْبَادِي إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
أَوَّلًا وَآخِرًا.

اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا الطَّلْعَةَ الرَّشِيدَةَ وَالْغُرَّةَ الْحَمِيدَةَ وَاجْعَلْ نَاضِرِي بِنَظْرَةِ
مَنِّي إِلَيْهِ وَعَجِّلْ فَرَجَهُ وَسَهِّلْ مَخْرَجَهُ وَأَوْسِعْ مَنَاجِزَهُ وَأَسْأَلُكَ بِرَبِّ
مَحَجَّتِهِ وَأَنْفَذِ أَمْرَهُ وَأَشْدُدْ أَرْزُهُ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَرْغَبُ إِلَيْكَ فِي دَوْلَةٍ كَرِيمَةٍ تُعِزُّ بِهَا الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ وَتُدْزِلُ
بِهَا النِّفَاقَ وَأَهْلَهُ، وَتَجْعَلُنَا فِيهَا مِنَ الدُّعَاةِ إِلَى طَاعَتِكَ وَالْقَادَةِ إِلَى
سَبِيلِكَ وَتَرْزُقُنَا بِهَا كِرَامَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ فَقَدْ نَبِينَا صَلَوَاتِكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَغَيْبَةَ وَلِيِّنَا
وَكثرة عدونا وقلة عددنا وشدة الفتن بنا وتظاهر الزمان علينا، فصل
على محمد وآله وأعنا على ذلك بفتح منك تعجله وبصر تكشفه
وبصر تعزله وسلطان حق تظهره ورحمة منك تجللناها وعافية منك
تلبسناها برحمتك يا أرحم الراحمين.

الفهرس

٣ المقدمة
٥ تمهيد في العدل الإلهي
٨ الإمام المهدي <small>عليه السلام</small> والعدل الإلهي
١١ شرائط إقامة العدل الإلهي
١٤ النتيجة
١٥ مَنْ هو القائد والإمام؟
١٧ الإمام المهدي <small>عليه السلام</small> في السُّنة
٢٣ فائدة وجود الإمام <small>عليه السلام</small> في زمن الغيبة
٢٥ مسؤوليات الإمام المهدي <small>عليه السلام</small>
٣٠ الخاتمة

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ

عَلَى مُحَمَّدٍ

وآلِهِ الطَّيِّبِينَ
وَصَلِّ عَلَى مَنْ فِيهِ سَلَامٌ
وَعَلَى مَنْ فِيهِ نِعْمَةٌ
وَعَلَى مَنْ فِيهِ رَحْمَةٌ
وَعَلَى مَنْ فِيهِ جَنَّةٌ
وَعَلَى مَنْ فِيهِ عِلْمٌ
وَعَلَى مَنْ فِيهِ قُدْرَةٌ
وَعَلَى مَنْ فِيهِ كَرَمٌ
وَعَلَى مَنْ فِيهِ جَبَلٌ
وَعَلَى مَنْ فِيهِ نَبِيٌّ
وَعَلَى مَنْ فِيهِ رَسولٌ
وَعَلَى مَنْ فِيهِ نَبِيٌّ
وَعَلَى مَنْ فِيهِ رَسولٌ
وَعَلَى مَنْ فِيهِ نَبِيٌّ
وَعَلَى مَنْ فِيهِ رَسولٌ



الشيعة والفكر والنقد

راسلونا fikriya@aljawadain.org



الجمهورية العراقية

www.aljawadain.org زورونا